

## التهجين اللغوي للخطاب العربي

مجلة التراث والمجتمع العدد 42 - د. زهير الصباغ - 2006/06/20م - 09:30 ص



### مدخل

يتعمد بعض العرب، خاصة من الطبقة الوسطى والمتقنين، على التحدث أو الكتابة بلغة عربية هجينة وغريبة الأطوار، جزء منها عربي ومفصلها أجنبية. ويستخدم بعضهم مصطلحات إنكليزية، وأحيانا فرنسية أو عبرية، لها ما يقابلها بالعربية، يقومون بنثرها داخل نص عربي هزيل ورتث، قد يكون مكتوبا أو محكيا. وبعضهم الآخر يضيف لكنة أجنبية للجزء العربي من هذا الخطاب المحكي والهجين. وتشكل هذه السلوآيات ظاهرة غريبة ولكن ليست جديدة.

تتم هذه الظاهرة بشكل واع ومتعمد عن طريق المحاآة، أو بشكل غير واع وغير متعمد. ويعتقد من يمارسونها بأنها نوع من الرقي الحضاري، ويصبح في نظرهم من لا يمارسها بأنه غارق في غياهب التخلف. ويقوم البعض الآخر بتعريب غبي لكلمات إنكليزية، ربما لجهله بأسمائها العربية، أقوله "برآت الكار"، واستأجرت "أفس مكندش ومهيت"، أو "شطط الشبلك".

وهنا يجب حصر الظاهرة بهدف فهمها ومعالجتها بشكل سليم. فالظاهرة التي نحن بصدها هي ليست ظاهرة إزاحة واستبدال اللغة العربية أما حدث في الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي. وهي أيضا ليست ظاهرة استخدام بعض الأسماء الأجنبية للأجهزة



الكهربائية. ولا تشمل هذه المجموعة من يستخدم، عند الضرورة، بعض أسماء ومصطلحات علمية أجنبية لا يوجد لها بديل أو مصطلح عربي مقابل.

توجد حاجة للتويه هنا، وقبل المباشرة في تناول ومعالجة هذه الظاهرة، أن الدراسة الحالية تتناول مجموعة من العرب تمزج عمدا خطابها العربي مع خطاب آخر بلغة أجنبية قد تكون الانكليزية، أو الفرنسية، أو العبرية، أو الاسبانية. مجموعة العرب التي نحن نقصدها ونحاول أن نفهم دوافعها هي التي تختار عمدا أن تمزج خطابها العربي المحكي أو المكتوب بكلمات ومصطلحات أجنبية لها بديل عربي. وتتم عملية التهجين بشكل منهجي لتصبح نمطا مميزا لأسلوب تخاطبهم وآدابهم.

عملية التهجين اللغوي في بعض المجتمعات

إن تهجين الخطاب المحكي والمكتوب هي ظاهرة منتشرة في آفة المستعمرات السابقة والحالية في العالم الثالث. وتتمثل هذه الظاهرة في قيام جزء من المستعمرين بتهجين خطابهم بمفردات ومصطلحات وتعابير بلغة المستعمر. وقد لاحظ أويسي أوا برا، أستاذ علم الاجتماع في جامعة غانا، وجود هذه الظاهرة لدى بعض الغانيين، فكتب يقول:

... ويرجع ذلك لوجود حالات من البشر الذين، يدعون، بعد غيابهم لسنتين أو

لثلاثة في أوروبا، بأنهم لا يستطيعون التحدث بلغة الأم ... إن استخدام لغة

غربية في أفريقيا هو أمر ذو قيمة بحيث أن الكثير من الأفارقة والذين

يستخدمون لغة الأم، يحولون خطابهم وينثرون لغتهم بمفردات وتعابير إنكليزية

أو فرنسية، وذلك لإظهار مستواهم الثقافي "الرفيع". ١

Kwesi Kwaa Prah "Education, Mother-Tongue Instruction, Christianity And Kwesi ١

لا أعتقد أن أويسي يتخذ موقفا من معرفة وإتقان اللغة الفرنسية أو الانكليزية. إنه ينتقد عملية

التهجين اللغوي وتناسي لغة الأم من قبل بعض الغانيين. لا شك أن الانكليزية هي لغة مهيمنة



على عالم الاتصالات والتكنولوجيا والمعلوماتية، ولذلك يعتبر إتقانه مهارة ضرورية مطلوبة للإنسان العصري الذي يرغب في مواآبة التطور والرقي والتقدم . وبناء على ذلك، فلا يوجد مأخذ على من يسعى لإتقانها بل على من يصر على جهلها. وتقع المشكلة ليس في معرفة لغة أجنبية، بل في تهجين لغة الأم بمفردات وتعابير ومصطلحات مستعارة من لغة أجنبية. وأما أسلفنا، فظاهرة تهجين الخطاب المحكي والمكتوب هي ظاهرة منتشرة وموجودة في آفة المجتمعات المستعمرة سابقا ولاحقا، حيث فرض المستعمرون لغتهم وثقافتهم على المستعمرين، وقاموا في الوقت ذاته بتهميش اللغة والثقافة المحلية. ولنأخذ مثلا آخر من الفلبين ( ١٨٩٨ ) ومن قبل الولايات لمدة ٥٧ - والتي استعمرت من قبل إسبانيا لمدة ٣١٣ سنة ( ١٥٨٥ ) ٢ وخلال فترتي الاستعمارين، تم فرض لغة المستعمر على مدارس (١٩٤٦- عاما ) ( ١٨٩٨ ) الفلبين. ونتيجة لاستعمار الفلبين لمدة ٣٧٠ سنة استطاع الاستعمار، خاصة الأمريكي، فرض لغته على الشعب الفلبيني. وتبرز اليوم ظاهرة تهجين الخطاب المحكي في لغة التاجلوج، إحدى اللغات الوطنية المهيمنة في الفلبين.

تشير الشاعرة الفلبينية، روت مبانجلو، إلى الممارسة الشائعة في الفلبين، وهي دمج مفردات انكليزية داخل لغة التاجلوج الفلبينية، وتحويل الخطاب منها للإنكليزية لدرجة تطوير لغة . مغايرة تدعى تاجلش أو إنجالوج ٣

لا يقتصر التهجين اللغوي على إقحام مفردات وتعابير من لغة أوروبية داخل الخطاب المحكي والمكتوب للغة من العالم الثالث، بل يتعداه إلى تهجين لغة أوروبية بلغة أوروبية أخرى. يقوم بعض الكنديين من أصول فرنسية، في مقاطعة الكيبك في آندا، حيث لغة الأم هي الفرنسية، بتهجين لغتهم الفرنسية بالانكليزية. هذا ما لاحظته الكاتبة اللبنانية جمانة حداد والتي آتبت مقالا بهذا الصدد آدت فيه وجود هذه الظاهرة، ليس في آندا فقط بل أيضا في فرنسا. مما لا شك فيه أن الجدل حول اجتياح المفردات الانكليزية للغة الفرنسية ليس جديدا، خصوصا في البلدان ثنائية اللغة على غرار آندا مثلا حيث تشن مقاطعة الكيبك منذ وقت طويل نضالا



شرسا ومستتبسلا في سبيل حماية هويتها الفرنسية من التهجين الانكليزي. وصحيح اذلك ان الفرنسية تتضمن عددا هائلا من الكلمات من أصول متنوعة, وأن الفرنسية والانكليزية لغتان لم تكفا عن التأثير واحدهما في الأخرى منذ ما يزيد على ألف عام. ولكن بعيدا عن التبادل والتلاقح الطبيعي اللذين يشكلان جزءا لا يتجزأ من تطور اللغات المختلفة وعملية إحيائها ألدائمة من جهة, والكفاحات اللغوية ذات الطابع القومي أو الانغلاقي الكاره للأجانب والشعارات الشوفينية من ثانية, الأيد أيضا أن نزعة تقليد الأمريكيين, في فرنسا تحديدا وفي العالم عموما, باتت تترك يوما بعد يوم مستويات خطيرة من التآزم تكاد تحادي الازلال ... ٢

وتظهر سمات ظاهرة التهجين أيضا في المجتمع العربي ويمكن ملاحظة جوانبها

المختلفة على الوجه التالي:

(أ) تهجين الخطاب العربي

Development of an African National Culture” (Cape Town: Centre for Advanced Studies of African Society ,  
(accessed on 5-10-2005www.casas.co.za

.Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia (1996) USA, Grolier Incorporated ٢

\* وهذه الأسماء عبارة عن مزج لغة التاجلوج "بالانجلش" أي باللغة الانكليزية.

٤ / ٢٠٠٣ / 2 جمانة حداد "الجدال يحتدم بين حماة الفرنسية و"مؤنكليزيها", ملحق النهار الأدبي, ٤

www.joumanahaddad.com

تظهر عملية تهجين الخطاب العربي, المحكي منه والمكتوب, في آفة المجتمعات العربية أونها أنت مستعمرات سابقة. فهي تظهر في المشرق العربي وفي المغرب العربي, ولا يخلو مجتمع من ممارستها. وسوف تقتصر هذه الدراسة على ظاهرة التهجين اللغوي في المجتمع العربي الفلسطيني, وذلك لكوننا ننتمي إليه ونعيش في داخله ولذلك نستطيع ملاحظة مظاهر وجود هذه الظاهرة.

يهجن بعض الكتاب لدينا, لغته المكتوبة بإقامه مصطلحات ومفردات انكليزية, لها ما يقابلها

بالعربية، وذلك داخل النص المكتوب. ويظهر النص العربي منثورا بكلمات انكليزية لا ضرورة علمية أو وظيفية لآثارها. وأن الكاتب ينبغي أن يظهر للقارئ مدى معرفته وإلمامه باللغة المهيمنة، وبالتالي "مستوى" رقيه الحضاري. ويظهر هنا الدافع الخفي لهذا التهجين اللغوي. انه دافع نفسي وليس علمياً، فمعرفة اللغة الإنكليزية المهيمنة ليست بالمهمة الخارقة في صعوبتها وهي متاحة للجميع. وهذه المعرفة لا تحتاج لإظهار ولا امتحان علمي داخل آل نص مكتوب أو خطاب محكي.

#### (ب) لافئات أجنبية في المدن العربية

يطلق البعض منا أسماء أجنبية على عدد من الأمان ذات الصبغة الاقتصادية أو الخدماتية. وتظهر هذه الأسماء المفرنجة على آل من اللافتات التجارية للآآآين، والمتاجر والمجمعات التجارية، وبعض الكراجات، وصالونات تصفيف الشعر للنساء وصالونات الحلاقة للرجال، والفنادق والمطاعم والمقاصف والمقاهي، والمكاتب، وعلى المدارس الخاصة وبعض المعاهد، والمشافي، وحتى على العمارات السكنية. وتتنوع هذه اللافتات بانتماءات أسمائها الثقافية، ولا تظهر ضرورة تجارية واضحة لفرنجة أسمائها إلا إذا آآت فروعاً لفنادق أو معاهد أجنبية.

#### (ج) تهجين فني وأسماء أجنبية

تقوم بعض الفضائيات "العربية" ببث أغنيات عربية مهجنة، والتي أصبح البعض منها مؤخرًا عربيًا بالاسم وأعجميًا في الجوهر. وتستخدم بعض أغاني "الفيديو آآيب" خلفيات ثقافية مغايرة للهوية الثقافية للمغني أو المغنية. فتظهر المغنية أو المغني بلباس أوروبي، ويرقصان على أنغام وإيقاعات أوروبية في شوارع مدينة أوروبية، ويحيط بهما عدد من الراقصات الأوروبيات المحترفات. وأحيانًا يشارآهما الغناء مغنٌ أوروبي بوصلة غناء بلغة أوروبية. وتظهر هذه الخلطة الغربية هيمنة أوروبية لدرجة تخال المغني-المغنية بالعربية وأنهما دخيلان يقنحمان أغنية أوروبية. وتعكس هذه الحالة ثقافة التهجين الفني، وهي تقليد ومحاآة ميكانيكية لأغاني



"الفيديو آليب" الغربية. وتظهر الميل لتهجين وتسطيح الفن الغنائي المرئي، ويقف وراءها مخرجي ومنتجي هذه "الفيديو آليات" من العرب "العصريين" المتفرنجين. ويطلق البعض منا أسماء أجنبية على أبنائنا وأثر على بناتنا، وهذه الظاهرة منتشرة في آفة المجتمعات المستعمرة ومنها مجتمعنا الفلسطيني. ويقوم بترويج هذه الأسماء مغنيات ما يسمى "الفيديو آليب" في محطات التلفزيون الفضائية، اللواتي يستعرن هذه الأسماء الأجنبية ليس تبدلن بها أسماءهن العربية. ويعتقد هؤلاء من أصحاب مدرسة الأوربة والأمرأة والفرنجة أن الاسم الأجنبي "أجمل" و"أرقى حضارياً" من الاسم العربي.

(د) هيمنة العبرية على خطاب بعض من عرب الداخل

تنتشر بين بعض المثقفين وبعض العمال من عرب ١٩٤٨ ، وخاصة طلبة وخريجي الجامعات الإسرائيلية، ظاهرة تتمثل بمزج خطابهم العربي بكلمات ومصطلحات عبرية لها مقابل بالعربية. ويذهب البعض منهم إلى المبالغة بذلك لدرجة أيرة بحيث لا تخلو جملة واحدة من خطابه من مصطلح أو آلمة عبرية. ويدعي بعض هؤلاء أن لغته العربية غير آافية أداة للتعبير عن أفكاره وأحاسيسه، لذا يلجأ لاستعارة ما يعبر به عن أفكاره من لغة أخرى. لا يعترف هؤلاء أن إمامهم ومعرفتهم باللغة العربية وصلا مرحلة متردية بحيث هيمنت على خطابهم لغة أخرى. ويتباهى بعض هؤلاء بكون لغته العربية فقيرة جدا لكونها لغة "عاجزة وغير متطورة" لا تصلح أداة عصرية للتعبير. ووصل البعض الآخر إلى التباهي بجعله اللغة العربية ومعرفته للغة الأجنبية بشكل أفضل بكثير.

إن عملية مزج الخطاب العربي بالمصطلحات والكلمات العبرية يصل بالشخص، بعد مدة من الممارسة، إلى مرحلة ينتقل فيها التفكير من لغة الأم إلى لغة الآخر، لغة المستعمر. وهذا بدوره يقود هذه النماذج البشرية إلى حالة من الاغتراب الثقافي. ونتيجة لهذه الغربية الثقافية تنشأ حواجز ومسافات تفصلهم عن أعضاء مجتمعهم وعن هويتهم الوطنية التي تبدأ في التبدل.

(ه) هيمنة الانكليزية على خطاب بعض العرب



يشير عالم اللغة العربية الفلسطيني إلياس عطا الله إلى ظاهرة التهجين اللغوي وهيمنة اللغة الانكليزية على خطابنا العربي وذلك بين بعض الجامعيين العرب. لقد لاحظ وجود هذه الظاهرة أثناء زيارته للقاهرة وعمان، وعبر عن نقده لها بالكلمات التالية:

... المثير للشفقة لا للقلق هم أولئك الذين يتحدثون بغير العربية من أبناء السراة وطلبة الجامعات وغيرهم من بعض الشرائح المجتمعية، ولكل دافعه المرفوض... أنت أتخيل أن أبناءنا الجامعيين في العواصم العربية، ولم أزر إلا القاهرة وعمان، يتحدثون العربية بينهم، وأم أنت الإنجليزية "الفصحى" لغة الحوار في جلساتهم! شيء ما مأزوم فينا، ولعل الأمر عارض، وهذا ما أرجوه... أمّا إن أنت ورائه أزمة خبوّ انتمائي أو جهل بالعربية، فهذه هي الطامة... ونحن المسؤولون أولاً وأخيراً. 3

وتصل عملية التهجين اللغوي بالبعض إلى التبني الكلي للغة الانكليزية واستخدامها لغة للتخاطب الأسري. وأتب علي درويش، أستاذ الترجمة في جامعة ميلبورن باستراليا، ما يلي في وصف هذه الظاهرة:

هناك من يزعم أن اللغة العربية آخذة في الانحسار والتراجع في الوطن العربي. ولعل في هذا الزعم شيئاً من الصحة. فثمة طائفة من الناس تعتقد أن التشوق بلغة أجنبية هو السبيل الوحيد إلى الرقي الاجتماعي والوصول إلى مرآز مرموقة في مجالات شتى. فتجدهم ينصرفون عن اللغة العربية ويرسلون أبناءهم إلى مدارس أجنبية ويتحدثون معهم بلغة أجنبية فتجد الأب والأم يحادثان ابنهما بلغة إنجليزية أو فرنسية منقوصة محدودة في أغلب الأحيان، وأنّ أبويه شكسبير وشارلوت برونتي أو فولتير وماري أنطوانيت، ما شاء الله. ولكن هذا لا يعدو آونه نزوة وزيفاً وانحرافاً لا يتخطى طبقة قليلة مترفة متخمة من المجتمع أو فئة موسرة من النخب المتنفذة أو المستنقفة أو المستنلبة أو طائفة مُنعمَة مستنعمَة من البشر. ٤



3 د. إلياس عطا الله: "فكرة عجز العربُأية عن مواكبة الطفرة التكنولوجية فرية قديمة"، حاوره: عادل سالم/ تجمع الأدباء

والكتاب

٢٠٠٥/٥/ تم الدخول للموقع بتاريخ ٣١، www.arabs48.com، الفلسطينين

4 علي درويش "لغة أجنبية وأصوات عربية: ظاهرة الاستغراب الفكري واللغوي في اللغة العربية الحديثة"،

٢٠٠٥/٩/ تم الدخول للموقع بتاريخ ٣٠، www.elaph.com

لا تقتصر هذه السلويات على بعض العرب، فظاهرة التبني الكلي للغة المستعمر تنتشر

بين العديد من المستعمرين سابقا خاصة الطبقات الوسطى التي نشأت تحت سقف أحد المشاريع

الاستعمارية. فبعض الأفارقة من البرجوازية الصغيرة لا زال يتبنى لغة المستعمر بالرغم من

انحسار الاستعمار في بلادهم. ويروي لنا المحاضر الغاني أويسي ما يلي عن بعض هؤلاء.

"... يوجد العديد من أعضاء النخب الإفريقية والذين، أزواج وزوجة، يتحدثون

لغة الأم ولكنهم يصرون على مخاطبة أبنائهم فقط بالانكليزية، أو الفرنسية، أو

البرتغالية. ونتيجة لهذه الممارسات سينشأ أولادهم وهم عديمو المقدرة على

التخاطب بلغة أجدادهم." ٥

ويظهر بوضوح أن الضرر الذي يحدثه هذا السلوك الاجتماعي يتقاطع مع المؤثرات

السلبية التي يخطط المستعمرون لإحداثها لدى الشعوب المستعمرة وهي سلخها عن لغتها

وموروثها الثقافي وفرض لغة وثقافة المستعمر على المستعمر.

(و) هيمنة لغة المستعمر والغزو الثقافي

سعى الاستعمار إلى فرض ثقافته ولغته على المستعمر، وشكل ذلك جزءا من عملية الإخضاع

والهيمنة الاستعمارية. وفرضت الإدارات الاستعمارية لغة وثقافة الاستعمار على أبناء

المستعمرة في عدد من المدارس والتي أنشأتها لتتقيف وتدريب بعض أبناء المستعمرة ليصبحوا

إداريين صغاراً لمساعدة جهاز الحكم الاستعماري. هذا ما حدث في آينيا التي استعمرت من قبل

٨. ويذآر الكاتب الكيني نجوجي واثونجو أن السلطة ١٩٦٣-١٩٢٠ بريطانيا في الفترة ١٩٢٠



الاستعمارية البريطانية أنشأت مدارس استعمارية في بلده أينما حيث استخدمت اللغة الانكليزية  
الغة التدريس والتخاطب الوحيدة في هذه المدارس. وينذّر الكاتب آيف منع من التكلم بلغته  
الجيكويو في داخل المدرسة، وآيف آن يتم معاقبة المخالفين بالضرب ولبس يافطة آتب عليها  
. "أنا غبي" أو "أنا حمار" ٩

وحتى بعد مغادرة الاستعمار تبقى في بعض المستعمرات مدارس تتبع النهج ذاته  
فتواصل فرض لغة المستعمر على طلبتها، وهي بذلك تساعد في تواصل الغزو والهيمنة الثقافية  
١٠ ١٩٤٣- للمستعمر. هذا ما حدث للعرب في لبنان الذي استعمر من قبل فرنسا في الفترة ١٩١٩  
وينذّر الفنان مارسيل خليفة ما يلي عن إحدى تلك المدارس.

عمشيت مثل أي ضيعة في جبل لبنان، آنت فيها الإرساليات الأجنبية  
هي واجهة الناس ليتعرفوا على الحياة. دخلت مدرسة الفري وبدأت التعرف إلى اللغة الفرنسية  
قبل التعرف إلى العربية. وأذّر بأننا أنا ننال عقوبة (سينيال) إذا ضبطنا ونحن نتكلم العربية... ١١  
يعتقد فرانس فانون أن جزءاً من الصدام بين المستعمر والمستعمر يرتكز في الحقل  
اللغوي الثقافي، حيث تجري عملية تفكيك وهدم البنية اللغوية-الثقافية للمستعمر لتستبدل بالبنية

.Kwesi Kwaa Prah, op. cit 5

.Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia, op.cit ٨

Ngugi Wa Thiong'o (1981)' The Language of African Literatur' Decolonizing ٩

(the Mind: the Politics of Language In African Literature ( London: James Currey

As in Ashcroft,Bill, Griffiths, Gareth and Tiffin, Helen(ed.) The Post-Colonial Studies Reader

.London and New York: routledge) p. 288)

Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia, op.cit ١٠

، ١١ مارسيل خليفة: "عندما تصبح أغانينا تقررنا سياسياً تتوقف عن إعطاء فعاليتها"، حوار مع مارسيل خليفة، مجلة ألحان، العدد

١٩٨١ ، ص ٣٧ / ٩ / ١٩

اللغوية-الثقافية للمستعمر . وقد أَد فانون ذلك في آتابه "الجلد الأسود والأفئعة البيضاء" حيث

يقول:

آل شعب مستعمر- بكلمات أخرى، آل شعب تم تطوير مرآب الشعور بالنقص داخل جوهره من خلال القضاء على أصلته الثقافية ودفنها - يجد نفسه وجها لوجه أمام لغة الأمة جالبة المدنية، أي أمام ثقافة الدولة المستعمرة. ويتم رفع المستعمر فوق مكانته في الغابة بقدر تبنيه للمعايير الثقافية للدولة المستعمرة. ١٢

ولكن بعض المستعمرين يتبنون موقفا مزدوجا تجاه لغة المستعمر، فهم يرغبونها ويعترفون بكونها وسيلة للتقدم الاجتماعي، ولكنهم في قرارة أنفسهم يكرهونها لكونها لغة المستعمر وإحدى وسائل الاضطهاد الاستعماري. وأدت هذين الموقفين المتناقضين، الكاتبة العربية رينات زهار وذلك في آتابها "فرانس فانون: الكولونيالية والاغتراب" والذي جاء فيه ما يلي:

من الممكن القول أنه أقاعدة فإن علاقة المستعمر مع لغة الهيمنة الاستعمارية تظهر لديه مواقف ومشاعر متناقضة. إنه يشتهيها ويحترمها أوسيلة للتسلق الاجتماعي، بينما، وفي الوقت ذاته ، يكرهها ويخاف منها أونها وسيلة للحكم الاستعماري. ١٣

وخلال مرحلة الاستعمار، تظهر لدى المستعمر ازدواجية لغوية، فهو من جهة يتواصل مع لغته ويستخدمها نوعا ما، ولكنه أيضا يتعلم لغة المستعمر ويستخدمها في المدرسة والعمل وفي جميع مناحي الحياة. ولا تشكل هذه الحالة ثنائية لغوية، بل هيمنة للغة المستعمر وتناقضا بين اللغتين. هذا ما أده الكاتب التونسي ألبرت ميمي وذلك في آتابه "المستعمر والمستعمر"، حيث آتب:

... إن امتلاك لغتين لا يعني حيازة وسيلتين، بل يعني، في الحقيقة، المشاركة في عالمين ثقافيين ونفسيين. وهذان في العالمين، هنا، يُرمز لهما ويتم نقلهما بواسطة لغتين موجودتين في حالة



. صراع، أونهما لغة المستعمر ولغة المستعمر ١٤

وتشكل لغة الاستعمار جزءا مهما من ثقافة المستعمر، وعنصرا أساسيا في عملية الغزو الاستعماري الثقافي والتي تتواصل حتى بعد التحرر السياسي. وفي تحليله لظاهرة الغزو الثقافي، يؤاد الكاتب البرازيلي باولو فريير ما يلي:

"... إنه لأمر أساسي في الغزو الثقافي أن يصل من ثم غزوه إلى رؤية الواقع

بمنظار الغزاة بدلا من خلال منظارهم، وذلك لأنه آما ازداد تقليدهم للغزاة،

آما أصبحت مكانة الغزاة أآثر استقرارا. ١٥

ويصف باولو فريير عملية تقليد الغزاة بأنها تصل إلى مرحلة الدونية والاعتراب

الثقافي التي تظهر في المحاآاة واللباس والكلام.

١٢ Fanon, Frantz (1967) Black Skin, White Masks, Translated by Charles Lam

Zahar Renate (1974) Frantz Fanon: ١٣ Charles Lam Markmann (New York: Grove Press), p. 19

Colonialism And Alienation, Translated by

١٤ ,(Memmi, Albert (1965)The Colonizer And The Colonized (Boston: Beacon Press

p.70

. ١٥ باولو فريير ( ٢٠٠٣ ) نظرات في تربية المعذبين في الأرض (رام الله: دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع) ص ١٤١

ومن آجل أن ينجح الغزو الثقافي لا بد لمن تم غزوه أن يقتنعوا بآبندني مكانتهم من

حيث الجوهر. وبما أن لكل شيء نقيضه، وما دام من تم غزوهم يعتبرون أنفسهم أخط مكانة،

فإنهم يعترفون بالتالي، برفعة مكانة الغزاة، ومن ثم تصبح قيم الآخرين، أي الغزاة، النموذج

بالنسبة لهم. وآما ازداد تعميق الغزو وأصبح من ثم غزوهم أآثر اغترابا عن روحية ثقافتهم

وعن ذاتهم، آما ازدادت رغبتهم في أن يكونوا مثل الغزاة، يسيرون مثلهم، يلبسون مثلهم

. ويتكلمون مثلهم ١٦

ويشكل التهجين اللغوي نتيجة لعملية الغزو الثقافي للدول الاستعمارية، ونقوم بتعزيز

الدونية لدى المستعمرين، وتزيد من اغترابهم عن لغتهم الوطنية، ويساعد في فكفكة وحدتهم الثقافية، وفي خبر انتمائهم الوطني.

مؤثرات التهجين اللغوي

ومن أجل الوقوف على مؤثرات التهجين اللغوي، علينا إعطاء تقييم لمكانة اللغة ودورها أوعاء للثقافة وحاملة للقيم، وأساس للهوية وأداة تزودنا بخبرة ونظرة معينة للحياة. وفي معرض تقييمه للغة أداة ثقافية تلعب دورا في صياغة الذات والهوية الجماعية للشعوب، يعتقد الكاتب دانيال بل أن لغات معينة تشمل:

... طرقا مميزة في اختبار العالم وفي تعريف ذاتنا. أي، أننا لا نتحدث فقط

بلغات معينة، ولكننا نصبح، وبشكل أثير أساسي، الشخص الذي نصبه بسبب

المجموعة اللغوية التي ننشأ داخلها. فاللغة، تشكل، فوق آل شيء، الطرق

المميزة لكيونتنا في العالم. وتشكل اللغة، عندها، أداة نقل لهوية شعب، والأداة

التي تزودنا بنظرة محددة في رؤية الأمور، وبالخبرة الحياتية والمشاعر، وفي

. الحصول على وجهات نظر محددة في الحياة ١٧

وتُظهر هذه المكانة أن اللغة لا تشكل وسيلة اتصال بين البشر فقط، بل مستودعا يحوي

عناصر أخرى. فكل لغة تنتمي لشعب وثقافة وحضارة وتراث وقيم وهي لذلك أداة اتصال

مشحونة ثقافيا وحتى عقائديا. ولا يستطيع من يستخدم لغة أخرى غير لغة الأم أن يقوم بنزع

وتحديد شحنتها الثقافية-العقائدية لأنها متداخلة مع اللغة وتشكل جزءا منها. وأد الكاتب الغيني

أويسي وجود هذه الشحنة الثقافية-العقائدية على الوجه التالي:

تشكل اللغة رزمة ثقافية تزود مستخدمها بأثر من وسيلة اتصال. إنها تشكل نافذة على ثقافة

متحدثي اللغة. إنها تحوي صورا من تاريخ أصحاب هذه اللغة وهي الوسيلة الرئيسة للدخول إلى

ثقافة معينة. إنها تشكل مخزنا للقيم، والاعتقادات، والمواقف، والميول. وعند التخاطب بلغة ما،

فإن المتحدث يدخل في حوار مع أصحاب هذه اللغة. وعندما تصبح اللغة المحكية هي اللغة



المهيمنة للمستخدم، فإنه، عندها، يصبح، في الحقيقة عضوا في ثقافة اللغة المهيمنة. ١٨

ويشكل التهجين اللغوي المتواصل، ونتيجته الحتمية من الاقتباس والتبني لثقافة

المستعمر، نوعا من الاغتراب الثقافي والذي يؤثر سلبا على توافق الفرد مع محيطه ومع ثقافته

١٦ المصدر ذاته

Bell, Daniel (1993) Communitarianism and its Critics (Oxford: Clarendon ١٧

Colonial Culture: Press)pp. 158-59. As quoted by Afolayan,Shina “The Question of a Past

,Language, Ideology and Cultural Essentialism”, Jouvvert, Vol. 7, Issue 1, 2002

accessed on 15-9-2005www.social.chass.ncsu.edu ,

.Kwesi Kwaa Prah, op. cit ١٨

ولغته. وتضع عملية التهجين اللغوي الفرد في عالمين متناقضين حيث يستخدم لغة الأم ولغة

المستعمر في الوقت ذاته الأمر الذي يضعه تحت وطأة هيمنة لغة المستعمر على وعيه وتفكيره.

ويؤدي هذا التخبط في التناقض إلى هشاشة في التواصل مع الموروث الثقافي الوطني، وإلى

فقدان أية مرجعية ثقافية واضحة، وربما إلى خبو في الهوية الوطنية.

ومن أجل تحليل جوانب أخرى لظاهرة التهجين اللغوي بهدف فهمها، يتوجب علينا

العودة إلى بداية ظاهرة أخرى هي الظاهرة الاستعمارية وذلك لارتباط الظاهرتين مع بعضها

البعض. فالتهجين اللغوي يتم مع لغة الاستعمار المهيمنة الانكليزية، والفرنسية، والعبرية،

والإسبانية.

دوافع ظاهرة التهجين اللغوي

يقوم الاستعمار، مباشرة بعد ترسيخ السيطرة العسكرية، بهدم البنية الاقتصادية-الاجتماعية

القائمة داخل المستعمرة الجديدة، ويستخدم من أجل ذلك، سياسة خسيصة من النهب والقمع

والبطش والعنف الاستعماري المتواصل. ويسيطر الاستعمار، خلال مرحلة حكمه، على اقتصاد

المستعمرة فيحوله إلى اقتصاد تابع وأسير ليخدم المصالح النهبوية الاستعمارية. وتظهر التبعية



للمرآز الاستعماري ليس فقط في الجانب الاقتصادي- السياسي ، بل أيضا في جوانب أخرى أهمها الوعي الاجتماعي الذي يساهم الاستعمار في إعادة صياغته وتشكيله بحيث يكرس، من خلال الدونية، التبعية حتى بعد مرحلة التحرر السياسي للمستعمرين.

يرتكز الوعي الاجتماعي الذي يتشكل داخل المستعمرة على هيمنة ثقافة ولغة المستعمرين على المستعمرين. ويقوم المستعمرين، في الوقت ذاته، بتبخيس الإنسان المستعمر والحط من قيمته الإنسانية، أما ويقومون بنهميش آل من اللغة أو اللغات المحلية، والموروث الثقافي والتراثي المحلي للمستعمرين. وتصبح، بعد مدة، لغة وثقافة المستعمر هي اللغة المهيمنة في مدارس المستعمرين ومناهجهم، أما وفي الإدارات الاستعمارية والقوانين. وتطغى لغة الاستعمار على أسماء الشوارع وأحيانا آثيرة على جغرافية المستعمرة.

ويظهر من ذلك أن الرسالة الثنائية التي يود المستعمرون إدخالها لوعي المستعمرين هي أن لغة وثقافة المستعمرين هي الأرقى حضاريا، والأفضل والأثر تطورا. وبالمقارنة، فان ثقافة ولغة المستعمرين تمتاز بالتخلف والانحطاط، والدونية والهامشية وعليهم الابتعاد عنها وتبني لغة وثقافة المستعمرين.

وعندما تتواصل التبعية والهيمنة والتبخيس والتمهيش ولسنين عديدة، يتأثر وعي غالبية المستعمرين. ويقوم جزء أكبر منهم باستدخال مشاعر الدونية وبالتماهي مع المستعمر الذي يصبح مثالا يحتدى من قبل المستعمر.

ويتم هذا الأمر بشكل واع وأيضا بشكل لا واع. وتصبح الظاهرة الاستعمارية في نظرهم ظاهرة "حضارية". ويعكس هذا التطور وهذه الاستكانة ما يمكن تسميته بذهنية الإنسان المستعمر.

تتملك الدونية الإنسان المستعمر والمقهور، وتستحوذ على مشاعره وتفكيره ووعيه الاجتماعي. وتشكل نظرة الإعجاب الدفينة للمستعمر وثقافته جزءا مهما من هذه الدونية. وفي مرحلة ما، يتملكه إحساس بسلبية هذه المشاعر والأفكار فيحاول إخفاءها وتغطيتها بتبني موقف متعال على



غيره من المقهورين. ويبحث عن نقاط التمايز والاختلاف عنهم لا عن نقاط الالتقاء والتوحد والتضامن معهم. ويستوقفني هنا ما أفادني به أحد الأصدقاء أن أحد المستعمرين من فلسطيني ١٩٤٨ أطلق على دأانه الصغير اسما مرآبا هو "سوبر ميني مارات" أتبه على لافتة آبيرة مثبتة فوق باب الدآن. وهنا نرى أن ما يريده هذا المستعمر هو أن يخبرنا نحن المستعمرين بأنه يملك دأنا أأبر من الدآآين الصغيرة التي يملكها المستعمر الأآرون، لأن دأانه يقترب بحجمه من "السوبر مارات". وهذه الحالة بدورها تعكس دونية مرآبة وعلى وجه الدقة "سوبر ميني دونية".

ويأخذ المستعمر في محاآة المستعمر فيقلد أنماط ملبسه ولغته وثقافته وبعض من عاداته، ويتبناها لتصبح جزءا من وعيه وسلواه الاجتماعي. ويتم آل ذلك بعد وصول المستعمر إلى قناعة أن عملية المحاآة والتبني والاستدخال للمستعمر وثقافته الاستعمارية سوف ترفع من مكانته وتحوله من مستعمر مقهور ودوني إلى مرحلة أرقى قد تلامس مستوى المستعمر الحضاري.

ردات □□ ي بمف □□ اب العرب □□ ين الخط □□ ي تهج □□ ي ف □□ سلوك النمط □□ ترتاج أن ال □□ ن الاس □□ ه، يمك □□ وعلي

ن □□ النقص م □□ شعور ب □□ ومصطلحات أجنبية يعكس عدم الإقرار بالشعور بالدونية، وعدم الاعتراف بال

ه □□ وعي ولكن □□ ار وال □□ شاعر و الأفك □□ عيد الم □□ ص □□ ة عل □□ اء للدوني □□ ه إخف □□ ستعمر . إن □□ اه الم □□ ستعمر تج □□ قبل الم

ة □□ راف بالدوني □□ رار والاعت □□ دم الإق □□ يشكل، في الوقت ذاته، اعترافا غير مباشر بوجوده. ا. ويظهر ع

وب □□ ي والمكت □□ ه المحك □□ ام خطاب □□ ة، باقح □□ ضارية مزيف □□ يلة "ح □□ ك بوس □□ ة ذل □□ ستعمر بتغطي □□ ام الم □□ ي قي □□ ف

وق □□ ن "النق □□ شاعر م □□ ه م □□ د لدي □□ ستعمر تول □□ ة الم □□ ان لغ □□ ة وإيق □□ ستعمر. فمعرف □□ سيد الم □□ ة □□ ال □□ ن لغ □□ أجزاء م □□ ب



ف □ ين التخل □ ل ب □ ط الفاص □ ي الخ □ تطاع تخط □ ذلك اس □ ه ب □ ستعمرين وأن □ ن الم □ ره م □ ي

غي □ اذب" عل □ الك

والحضارة.

تستخدم اللغة أداة للتعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر والأحاسيس. وتعكس اللغة التي يستخدمها إنسان معين وعيه الاجتماعي وأفكاره ومشاعره الواعية وغير الواعية. والإنسان الذي يمتلكه شعور بالدونية تجاه الغرب الرأسمالي يعكس ذلك من خلال مكونات خطابه، أي بنيته اللغوية وتنوعاتها. فإقحام مصطلحات انكليزية أو أجنبية داخل الخطاب المحكي يعكس الوعي الدوني للإنسان المستعمَر.

إن مشاعر وأفكار الدونية ومرآب الشعور بالنقص اللذين يعاني منهما آفة الذين تملكهم ذهنية المستعمَر، تتطلبان المعالجة لا الموارد والطمس والتجاهل. ولن يستطيع المستعمَر أن يتخلص من هذه السلبيات المزعجة من خلال تغليفها بمفردات أجنبية بل من خلال الاعتراف بوجودها ومن ثم معالجتها والانعقاد من سيطرتها. إنها رزمة من الوعي والمشاعر والأفكار السلبية التي تعشش في داخل وعي المستعمَرين الذين لا زالت تملكهم ذهنية المستعمَر. وعليه، فلا بديل غير التحرر الشامل الذي يبدأ بتعزيز الهوية والانتماء الوطني، وتطوير لغتنا العربية وخطابنا العربي المحكي والمكتوب، وعدم التكرار لتقافتنا العربية، وتقوية خطابنا من هذا التلوين اللغوي.

ولكن قبل التوصل إلى هذه المرحلة الأرقى، علينا معرفة بعض الحقائق عن لغتنا العربية وعن مكانتها في العالم. فبالإضافة لكون العربية إحدى اللغات الخمس المعترف بها من قبل الأمم المتحدة، فإنها لغة جميلة ومعطاءة، أعارت واستعارت، وتلاقحت مع العديد من الحضارات.

لغة عربية معطاءة

يعتقد بعض العرب أن اللغة العربية جامدة ولا تتوافق مع عصرنا، وأنها لا تملك



مقومات التطور بل تعيش في أزمة معينة. ويعارض الكاتب العربي فريد الأنصاري هذه الآراء ويعتقد أن "...اللغة العربية شأنها شأن باقي اللغات؛ ليست هامدة ولا جامدة، بل هي متطورة متحررة، على الرغم مما يظهر أنها تعيش في أزمة، وأنها تسير بخطى بطيئة. فإذا أنت تعبر عن ثقافة وقيم متكلميها، وتصف سلوكهم وفكرهم فإن الأزمة في الحقيقة ليست فيها، وإنما هي فيهم، والبطء ليس صفة لها وإنما صفة لهم..." ١٩

ويعتقد عرب آخرون أن العديد من المفردات الأعجمية دخلت للغة العربية، وأن أسماء عدد من الأدوات التكنولوجية والكهربائية دخلت العربية قبل تعريبها وأن هذا الأمر يعكس ضعفها أداة تعبير لغوي. وأد عالم اللغة العربية إلياس عطا الله أن "اللغات الحية، والعربية أطولها عمرا وأغناها، تتقارض، تعير وتستعير..." ٢٠ وإثباتا على ذلك، تعتبر اللغة العربية لغة غنية بمفرداتها وتعابيرها ومصطلحاتها ولذلك أخذت عنها الإسبانية ٨,٠٠٠ آلمة و ٢,٣٠٠ اسم مكان. أما وتشكل العربية ٥٧ % من لغة البوشتو، و ٤٢ % من الأوردو، و ٣٠ % من الفارسية ٢١. أما وتأثرت أثيرا لغة السواحلي الإفريقية بللغة العربية فاستعارت منها الكثير من مفرداتها وتعابيرها. أما اللغة الوطنية لجزيرة مالطه، والتي تكتب بالأحرف اللاتينية، فتعتبر إحدى لهجات اللغة العربية ومصدرها شمال إفريقية ٢٢. واستعارت لغة البيمبا الكثير من مفرداتها وتعابيرها من اللغة العربية، وهي لغة مستخدمة في زامبيا وجنوب جمهورية الكونغو الديمقراطية وجنوب تنزانيا ٢٣. وتأثرت بالعربية لغات أوروبية أخرى منها الانكليزية والألمانية اللتان استعارتا العديد من المفردات والأسماء العربية. وتصف المستشرق الألمانية زيغريد هونكة، في آتابها "شمس العرب تسطع على الغرب"، قيمة هذه الاستعارات داخل اللغة الألمانية فتقول.

أجل، إن في لغتنا آلمت عربية عديدة، وإنما لندين - والتاريخ شاهد على ذلك - في أثر من أسباب الحياة الحاضرة للعرب. وأم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محبة



إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب، الذي آن يوما من الأيام قاتما آلحا  
باهتا، وزرأشته بالتوابل الطيبة بالعبير العابق، وأحيانا باللون الساحر، وزادته صحة وجمالا  
. وأناقة وروعة ٢٤

ليس فخرا أن نجهل لغتنا العربية، فهي لغة الأم التي نولد ونعيش م معها، ويستطيع من  
يتقنها التعبير عن آفة أفكاره ومشاعره. وهي لغة متطورة وموآبة للعصر الذي نحياه، وتعطينا  
الأدوات الضرورية لتطويرها أثر من الداخل "...من خلال الاشتقاق والنحت والتجوز والتوليد  
تم ألدخول ، www.albayan-magazine.com ، " ١٩ د. فريد الأنصاري "إصلاح التعليم وأزمة اللغة العربية في العالم  
الإسلامي

٣٠ /٩/٢٠٠٥ للموقع بتاريخ

٢٠ د .إلياس عطاالله، مصدر سبق ذآره.

Salloum, Habeeb "Arabic Contributions to the Spanish Language", accessed on ٢١

www.alhewar.com 2004-4-24

, Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia, op.cit. and Gerold Gerber ٢٢ Paper

,Presented at the European Association of Social Anthropologists (EASA) Conference in Copenhagen

August2002, in the workshop "Stuck Between Inside and Outside - Hybrid Identities and 17-14

, "accessed on 5/10/2005 www.AnthroBase.com Anthropological Methodology ,

Debra Spitulnik and Mubanga E. Kashoki "Bemba" Facts about the World's ٢٣

Languages. As in J. Garry and C. Rubino, eds. (2001) An Encyclopedia of the World's Major

,.www.emory.edu Languages, Past and Present, (New York and Dublin: H.W. Wilson) pp. 81-85 ,

accessed on 5-10-2005

٢٤ ٢٠ - زيغريد هونكه ( ٢٠٠٠ ) شمس العرب تسطع على الغرب، الطبعة التاسعة (بيروت: دار صادر ودار الافاق الجديدة)

ص ١٧



والتعريب... " ٢٥ مع ذلك، تواجهنا بعض العقبات والمشاكل في تدريس بعض العلوم باللغة العربية. وفي هذا الصدد، آتب محيي الدين صابر ما يلي عن صعوبات تدريس أحد هذه العلوم. ... فنحن اليوم نجد صعوبة في تدريس بعض العلوم بالطب باللغة العربية، في الجامعات العربية، لماذا؟! لأن الطب بالنسبة إلى منطقتنا أصبح وطنه اللغة الانكليزية، وفي بلاد أخرى اللغة الفرنسية، أو الروسية، والذين قرأوا التاريخ الحضاري يعرفون، أن آثيراً من العلوم وفي مقدمتها الطب، آنت تعتبر علماً عربياً، وظلت آتب الطب العربية، تدرس في الجامعات الأوروبية، قبل أن تعجم لغته... ٢٦

ويمكن تخطي هذه العقبة سيما وأن " ... الطب بدأت دراسته في العشرينيات من القرن الماضي في آلية الطب بالقصر العيني في مصر باللغة العربية ، فترة تقرب من ستين عاماً، حتى احتل الانكليز مصر، في الثمانينات من ذلك القرن، فتحوّلت دراسة الطب من العربية إلى الانكليزية ..." ٢٧

وعليه يتوجب علينا آعرب تطوير لغتنا وخطابنا المحكي وذلك من خلال الممارسة.

وتشكل قراءة النصوص العربية جزءاً من عملية التطور اللغوي للإنسان العربي، وهذا يتطلب

قراءة الكتب وعدم العزوف عن القراءة، وعدم الآتفاء بقراءة الصحف العربية، والشريط

الإخباري للفضائيات. واعلموا أيها العرب أن لا بديل للكتاب.

تم الدخول للموقع، [www.isesco.org.ma](http://www.isesco.org.ma) " ٢٥ عبد العزيز بن عثمان التويجري "لغة الإعلام وآثارها في تحقيق التنمية اللغوية

٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٥ بتاريخ

تم الدخول للموقع ، [www.balagh.com](http://www.balagh.com) ، "؟ ٢٦ محيي الدين صابر "آيف تحقق اللغة العربية توازناً بين الأصالة والثقافة

المعاصرة

٣٠ / ٩ / ٢٠٠٥ بتاريخ



٢٧ المصدر ذاته .